الفصل الخامس

آدم عليه السلام كما صوّره القرآن

١ - قصّة آدم عليه الصلاة والسلام.
٢ - العبرة من خلق آدم عليه السلام.
٣ - آدم عليه السلام أول البشر.
٤ - الأدلة على أن آدم أول الخلائق من الإنس.
٥ - نظرية "داروين" وتعارضها مع القرآن والواقع.
٦ - الرد على "نظرية داروين" وإثبات بطلانها.
٧ - المراحل التي مر بها خلق آدم عليه السلام.
٨ - قصة "قابيل وهابيل" ابْنَيْ آدم عليه السلام.

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة آدم عليه السلام

ـ ١ ـ

قصة آدم عليه السلام هي قصة البشرية بأسرها، وحياته حياة هذا الوجود بأكمله، منذ أن أراد الله ـ جلت عظمته ـ لهذه الدنيا أن تُعْمَر، ولهذا الوجود أن يَظْهر، ولهذه الحياة أن تكتمل وتزْدان بظهور هذا الإنسان. . !

إنها قصة الحياة كاملة من بدايتها إلى نهايتها، قصة الوجود بأجمعه منذ أن ظهرت هذه الكتل البشرية على ظهر هذا الكوكب الأرضي، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. قصة الأحقاب الطويلة، والأجيال الكثيرة التي مرّت على هذا العالم فعاشت فيه ثمّ رحلت عنه، مخلّفةً وراءها هذه المظاهر والآثار البشرية. . ولسان حالها يقول:

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ

* * *

العبرة من خلق آدم عليه السلام

ـ ٢ ـ

لم يكن خلق آدم من تراب، ثم تناسل ذريته من بعده أمراً عادياً طبيعياً.. إنما هو أمر هام، وخلق عظيم، فيه تجلّت مظاهر القدرة الربانية، والعظمة الإلهية التي تقول للشيء: «كن فيكون».. إنه منتهى الإبداع والإعجاز، فإن أهل الأرض جميعاً لو اجتمعوا على خلق «ذُبابة» أو «بعوضة» لما استطاعوا فكيف بإنسان له عقل وسمع وبصر وإدراك!! ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾! إنها «القدرة الإلهية» الفائقة التي تخلق من العدم وجوداً، وتجعل من الضعف قوة ومن السكون حركة، ومن الجماد حياة وروحاً، فإذا التراب يتحرك، وإذا الطين يتكلّم، وإذا الجماد بشر سوي، في أجمل صورة وأحسن تقويم:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1].

هذا هو «ادم» وهذه هي ذريته، بل هذه قصته وقصة الخليقة أجمعين.. مخلوق يخلقه الله من طين، ثم يخلق ذريته من نطفةٍ من ماءٍ مهين، ويستخلف هذه الذرية في الأرض، ويملّكها الوجود، ويجعل هذا الإنسان خليفةً ليقيم العدل، فإذا بهذا المخلوق الضعيف يستعلي على ربه، ويريد أن ينازعه في ملكه، ويتجرأ على عصيان أوامر الله!!

---

(١) سورة الروم: الآية (٢٠).

أليس عجيباً أن ينكر وجود الله من لم يكن بالأمس شيئاً مذكوراً!! أليس عجيباً أن يكفر بنعم الله مَنْ وجوده برهان على وجود الله!! وصدق الله حيث يقول:

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[1].

يا عجباً ممن ينكر وجود الله، وكلّ ذرة في الكون ناطقة بوجوده!!.

يا عجباً ممن يكذّب بآيات الله، وكل حركة في الوجود شاهدة بوحدانيته وعظيم قدرته!

يا عجباً ممن يُغمض عينيه حتى لا يرى نور الشمس الساطع، ويصمّ أذنيه حتى لا يسمع صوت الكون الرائع!

وحقاً كما قال الله:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

ولله در القائل حيث يقول:

فَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ؟
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَداً شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

أفليست قصة «آدم» قصة عجيبة؟.. أفليس وجود هذا الإنسان في هذا الكون يستدعي منه التبصّر والانتباه؟ أفليس خلقه من تراب وطين يستلزم منه الإيمان واليقين ﴿فلينظر الإنسان ممَّ خلق؟ خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. إنه على رجعه لقادر﴾[3]!.

---

(١) سورة عبس: الآيات (١٧ ــ ٢٣).
(٢) سورة الحج: الآية (٤٦).
(٣) سورة الطارق: الآيات (٥ ــ ٨).

آدم عليه السلام أول البشر

ـ ٣ ـ

حدَّثنا القرآن الكريم على خلق «آدم» عليه السلام، وأخبرنا أنه أول مخلوق من البشر ظهر على سطح الأرض في هذا الوجود، فهو إذاً أبو الخلائق، وأصل هذا العالم، وإليه ينتمي جميع سكان الأرض، وليس قبله مخلوق من النوع الإنساني على الإطلاق، أما من غير البشر فقد كان هناك ملائكة قبله، وكذلك من الجن مخلوقات قبله، ولهذا لما اقتضت حكمة الله الأزلية خلق هذا الإنسان، أخبر الباري جلّ وعلا الملائكة بذلك وأخبرهم بأنه سيكون من ذريته أشخاص يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض، فتعجبوا وسألوا عن «الحكمة الإلهية» في خلق هذا الإنسان، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال العلامة (القرطبي) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن:

(قد علمنا قطعاً أن الملائكة لا تعلم إلا ما علمها الله، ولا تسبق بالقول، لأن قوله تعالى: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ خرج على جهة المدح لهم فكيف قالوا ﴿أتجعل

(١) سورة البقرة: الآية (٣٠).

فيها من يفسد فيها؟﴾ والجواب: أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك لأنّ الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم جبريل في جندٍ من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار ورؤوس الجبال فجاء قولهم: «أتجعل فيها»؟ على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة على طريقة من تقدّم من الجنّ أم لا؟ وقيل: إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة، إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه، أو التعجب من عصيان من يستخلفه الله في أرضه. . انتهى كلام القرطبي بتصرف[1] . .

وعلى هذا ينبغي أن نفهم أن سؤال الملائكة لم يكن اعتراضاً على خلق الله أو على مشيئته وإرادته وإنما كان بغرض الاستفسار عن الحكمة لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ولا يمكن أن يتصور منهم المخالفة والإباء.

* * *

(١) انظر تفسير القرطبي ١/٢٧٤.

obeikandl.com

الأدلة على أن آدم أول الخلائق من الإنس

ـ ٤ ـ

لقد جاءت النصوص القرآنية مؤيدة أن «آدم» عليه السلام هو أول المخلوقات، وأنه لم يكن قبله أحد من هذا النوع البشري. وكذلك الكتب السماوية كلها قد أجمعت على هذا، وبذلك تضافرت الأخبار عن جميع أهل الملل والأديان بأنّ «آدم» أبو الخليقة، وأنه أول مخلوق من البشر على الإطلاق أما الأدلة في القرآن الكريم فكثيرة نكتفي بذكر بعضها وهي كما يلي:

أولاً: تكرّر النداء للبشر بنسبتهم إلى أبيهم «آدم» عليه السلام مثل قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا . . .﴾[1] الآية.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ . . .﴾[2] الآية.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٧).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٦).

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ . . . ﴾[1] الآية.

ثانياً: أخبر الله سبحانه وتعالى بأنّ البشر جميعاً هم من «أصل» واحد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ . . . ﴾ الآية[2].

وقال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ . . . ﴾ الآية[3].

وليس المراد من النفس الواحدة إلا «آدم» كما أن المراد من قوله (زوجها) ليس إلا (حواء) لأنهما أصل الخليقة، وقد بينت الآية الكريمة أن الله قد بثّ أي نشر وخلق منهما الرجال والنساء. الكثيرين فمنهما توالد البشر وتناسلوا وكثروا، ثم تفرقوا في الأرض..

ثالثاً: ذكر الله تعالى أن كل مخلوق خلق من «أبوين» بطريق التزاوج إلا (آدم) فقد خلقه الله بيده من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فآدم لم يخلق من أبوين إنما جاء نموذجاً فرداً كما قال تعالى:

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣١).
(٢) سورة النساء: الآية (١).
(٣) سورة الأعراف: الآية (١٨٩).
(٤) سورة ص: الآيتان (٧١ ــ ٧٢).

وقال تعالى في قصة امتناع إبليس عن السجود:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾[2].

السُلالة: من السّل وهو استخراج الشيء من الشيء؛ يقال: سللت الشعر من العجين، فالنطفة سلالة لأنها تستل من الظهر «أفاده القرطبي».

رابعاً: التصريح بذكر «آدم» وأنه أبو البشر وذلك كما في حديث (الشفاعة) المروي في الصحيحين وفيه أن الناس يلتمسون من يشفع لهم من هول يوم الزحام فيذهبون إلى آدم يسألونه الشفاعة فيقولون له: (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري...) الحديث[3].

* * *

(١) سورة صٓ: الآية (٧٥).

(٢) سورة السجدة: الآيتان (٧ ــ ٨).

(٣) انظر: حديث الشفاعة بكامله في فتح الباري على البخاري لابن حجر ٦/٣٧١.

نظرية "داروين" وتعارضها مع القرآن والواقع

ـ ٥ ـ

ومن هذه النصوص الكريمة التي ذكرناها ـ من الكتاب والسنة ـ يتبين لنا بجلاء ووضوح بطلان نظرية (داروين) التي تجعل أصل البشر ليس هو «آدم» وإنما تفرّع الناس على زعمه.. من سلالات أخرى، وانحدروا من أصل آخر يختلف عن أصل آدم.. إنه يعتقد بأنّ الإنسان بدأت حياته بجرثومة صغيرة، ظهرت على سطح الماء ثم تحولت إلى حيوان صغير، ثم تدرّج هذا الحيوان فأصبح ضفدعاً، فسمكة، فقرداً، ثم ترقّى هذا القرد وتمدّن فصار إنساناً. فالإنسان في نظره قرد متمدّن، وقد استطاع ذلك القرد بعبقريته ونبوغه أن يتطوّر ويتغير فيصبح إنساناً ذكياً بعد أن كان قرداً غبيّاً.. وهكذا جعل (داروين) نسبنا متصلاً بالحيوان وعشيرتنا منحدرة من الضفادع والفئران، وجدنا هو (الشمبانزي) لأنه أقرب القردة شبهاً بالإنسان.. هذه هي خلاصة نظرية (داروين) التي تسمى (نظرية النشوء والتطوّر) وهي تناقض صريح القرآن، وتعارض جميع ما جاءت به الكتب السماوية من أنّ آدم عليه السلام هو أبو البشر، ومنه تناسل جميع الخلق، وأنه هو الأب الأكبر. ولعلّ هذه النظرية الخرقاء تنطبق على (داروين) نفسه، وأتباعه المقتنعين بفكرته المؤمنين بنظريته، المتحمسين لها، فهم ـ وحدهم ـ القردة، أما بقية البشر فمن آدم انحدروا، وإليه ينتسبون.. وهل هناك إنسان عاقل يرضى أن يكون من فصيلة (الغوريلا) و (الشمبانزي) وسائر أنواع القردة، ويتبرأ من نسبه إلى آدم عليه السلام؟! اللهم إلا أن يكون (دارونياً) أحمق سفيه الرأي والعقل، فاقد الإدراك

والشعور ثم كيف يكون الأصل البشري منحدراً من القردة والله تبارك وتعالى قد كرّم هذا النوع البشري فقال وهو أصدق القائلين:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

ويقول جلّ ثناؤه:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

فهل من تكريم الله لبني آدم أن يجعلهم من صنف القردة؟ وهل من تفضيله إيّاهم أن يلحق نسبهم بالقردة أو يجعلهم من فصيلة الشمبانزي والغوريلا؟ وإذا قلنا لأتباع داروين: يا بني القردة والخنازير، فهل سيرضون عنا أم سيغضبون؟؟

رَبِّ إِنَّ ٱلْهُدَى هُدَاكَ وَآيَاتُكَ حَقٌّ تَهْدِيْ بِهَا مَنْ تَشَاءُ

وإذا كانت نظرية (التطوّر) صحيحة، فلماذا لم يتطور سائر القردة ويتمدنوا ونحن نعيش في عصر التطور والتمدن؟!

ـ ٦ ـ

خطأ نظرية داروين من الناحية العلمية:

لقد نسف الدكتور (حليم عطية) مذهب (داروين) وأبطل نظرية (النشوء والتطور) في كتابه الرائع الذي ألّفه تحت عنوان (تصدّع مذهب داروين، والإثبات العلمي لعقيدة الخلق) ونحن ننقل بعض فقرات منه، تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال في كتابه المذكور: (كيف يمكن لمخلوق ضعيف الجسم، وضعيف العقل أن يعيش وحوله الأسد والفيل، والدب والنمر، وغيرها من الحيوانات

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٠).
(٢) سورة التين: الآية (٤).

المفترسة؟ ولو حدث شيء من التطور والارتقاء ـ حسب ما يدّعي داروين ـ للزم أن تتطوّر القردة الموجودة في زماننا، وتترقّى كما ترقّى أسلافها من قبل، وكما تمدّنوا فأصبحوا بشراً بعد أن كانوا قردة؟ وعلى زعم داروين هل يمكن أن يصير البرغوث (فيلاً) وأن تنقلب النملة (نعجة) ويصبح الهر (أسداً) بمرّ القرون وكرّ الدهور؟!.

الغرض الحقيقي من نظرية داروين:

بقي أن نعرف أن هذه النظرية «الخرقاء» عميقة الجذور، فهي تهدف إلى غرض معيّن هو (إنكار وجود الخالق جل وعلا) فإن (داروين) اليهودي الخبيث يعتقد بألاّ خالق لهذا الوجود، ولا صانع لهذا العالم، وأن (الطبيعة) هي التي أوجدت هذا العالم، وخلقت هذا الإنسان، فهو إذاً دهري ملحد، متنكرٌ للأديان السماوية، ولليهودية التي ينتمي إليها، كافر بكل القيم الروحية التي جاءت بها الشرائع السماوية.. ولا عجب أن يأتينا بمثل هذا الهراء والافتراء، فتلك هي طبيعة اليهود في القديم والحديث، فكل دعوة للإلحاد أو للإفساد نجد وراءها يداً يهودية خبيثة، كما أن (كارل ماركس) مؤسس المبدأ الشيوعي يهودي الأصل، وكذلك (فرويد) الإباحي الفاجر يهودي العرق والدم.. وكل هؤلاء الخبثاء هم من تلامذة «إبليس» ومن أعوان «الدجّال» يتعاونون لهدم الشرائع والأديان، ويعملون ليل نهار لبذر بذور الإباحية والإلحاد وصدق الله حيث قال:

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

انخداع بعض المثقفين بهذه النظرية:

ولعل بعض المثقفين، ممن لم يتمكنوا من العلم، ولم يحصلوا منه إلا على قشور لا تُسمن ولا تغني من جوع، يعتقدون بصحة هذه النظرية العجفاء، وينخدعون ببريقها الفلسفي ويعتبرونها نظرية مسلّمة لا تحتاج إلى نقاش أو جدال لأنها نظرية مشهورة!!

(١) سورة المائدة: الآية (٦٤).

ونحن نسارع القول إلى هؤلاء بأن هذه النظرية هي مجرد (افتراضيات) و (أوهام) وأنها لم تصل إلى الدرجة العلمية المقطوع بصحتها، وشهرة هذه النظرية لا تجعلها نظرية صحيحة مقبولة في منطق العلم والعقل، و «إبليس» اللعين له شهرة عظيمة، فهل معنى هذا أنه على سداد وصواب. ونقول لهؤلاء «المفتونين» بالآراء الغربية: إن كثيرين من علماء الغرب أنفسهم قد استسخفوا هذه النظرية، وأبطلوها بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، ومن أظهر ما أُلّف للرد على هذه النظرية السفسطائية كتاب «العلم يدعو للإيمان» لمؤلفه الكبير (كريسي موريسون) رئيس المجمع العلمي في أمريكا، وكتاب «الله يتجلّى في عصر العلم» المترجم إلى اللغة العربية، وهو بأقلام مجموعة من كبار علماء الطبيعة من الأساتذة المختصين، وكلا الكتابين يهدف إلى إثبات وجود المدبّر الصانع الحكيم، ويردُّ على القائلين بنظرية التطور أو القائلين بأنّ «الطبيعة» هي التي أوجدت هذا الكون، وهذه الحياة. كما ظهر كتاب جديد تحت عنوان «الإسلام ونظرية داروين» لمؤلفه الأستاذ الفاضل والكاتب البارع السيد (محمد أحمد باشميل) يُستحسن الرجوع إليه في هذا الموضوع، فإنه قد جمع فأوعى، وأتى بآراء كثيرة لكبار العلماء الغربيين في نقض هذه النظرية الفاسدة.

ونقول من جهة أخرى: إننا نحن المسلمين نعتقد بأنّ كل ما خالف القرآن الكريم، المقطوع بصحته وصدقه. فإنه باطلٌ مردود على قائله، لا يمكن أن يقبله مسلم مهما كان حال قائله، ومهما بلغ من الرقي والعلم، فكيف بهذه النظرية الخرقاء التي لا تستند على دليل أو برهان؟!.

رأي وجيه للأستاذ النجار:

ويستحسن أن ننقل هنا رأياً وجيهاً للأستاذ عبد الوهاب النجّار في كتابه «قصص الأنبياء» فقد نقل فيه عن بعض علماء الألمان رأياً على نقيض رأي (داروين) تماماً خلاصته: **أن القرد إنسان متقهقر، وليس الإنسان قرداً مترقياً** ثم قال:

وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فإنها لا تكون حجة لأحد أبداً.

ثم قال: (هَبوا أن الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزاً عنيفاً بغير شفقة وزلزلتها زلزالاً شديداً، فدكّت فيها كل بناء شامخ، وانهارَ فيها كل صرح باذخ، وألحقت القصور بالأكواخ، وأزالت معالم الدنيا ودورها ومصانعها وقصورها، وعادت الأرض كما كانت قبل أن يسكنها هذا الجيل من بني الإنسان، فهل يتصور أن الغوريلا، والشمبانزي وسائر الفصيلة القردية تهبّ لعمران الأرض كما عمرها الإنسان، ويكون فيها المصلحون الدينيون والمخترعون والمبتدعون، ويقوم فيها أمثال «سقراط» و«أفلاطون» ويقوم بينهم العلماء فيرسمون الكرة الأرضية، ويخترعون الآلات الهندسية، ويأتون بالعجائب فيوجدون الراديو والتفلزيون، والطائرات والغواصات. إنني كلما فكرت في ذلك جزمت بأن ذلك محال، وقطعت بأن (القرد) سيبقى قرداً على مدى الدهر، وأن القردة لا تلد إلا قردة[1].

* * *

(١) انظر: قصص القرآن للنجار، ص ٢٩؛ ففيه بحث نفيس.

المراحل التي مر بها خلق آدم عليه السلام

ـ ٧ ـ

أولاً ـ (المرحلة الترابية):

لقد كان أساس تكوين آدم عليه السلام، ومصدر نشأته إنما هو التراب، فحين تعلّقت إرادة الله جل جلاله في خلق آدم أمر الملائكة أن يجمعوا تراباً من أنحاء الأرض، ومن ألوان التربة العديدة، فجمعوا فكان هذا التراب هو الأساس في تكوين آدم عليه السلام، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾. وجاء في الحديث الصحيح:

«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدمَ على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك»[1].

ثانياً ـ (المرحلة الطينية):

أخذ هذا التراب ثم جبل بالماء فأصبح طيناً لازباً (أي متماسكاً) يلتصق بعضه ببعض، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[2].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٢٩٤٨؛ وأبو داود برقم ٤٦٩٣؛ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وانظر: جامع الأصول ٤/٣١.

(٢) سورة الصافات: الآية (١١).

ثم بقي آدم مدة طويلة من الزمن في الصورة الطينية تقدّر بـ ٤٠ أربعين عاماً حتى جفّ ويبس فأصبح له صوت يشبه الفخّار إذا نقر باليد وهو المراد من لفظ (الصلصال) كما قال تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[1].

ثالثاً ــ (المرحلة التكوينية):

ثم توجهت إرادة العلي الكبير لجعل هذا الطين بشراً سوياً، وإنساناً سميعاً بصيراً، فنفخ فيه من روحه، فإذا هو إنسان كريم وخلق عظيم في أحسن صورة وأكمل تقويم، وهذه المرحلة هي آخر المراحل في خلق آدم عليه السلام، وهي التي تسمى المرحلة التكوينية، وقد وردت بعض الآثار تدل على أن آدم بقي في المرحلة التكوينية أي قبل نفخ الروح مدة طويلة تقدر بأربعين ٤٠ سنة، ولعل الآية الكريمة في سورة الدهر تشير إلى هذه المدة التي بقي فيها آدم وهي قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[2].

والمراد بالإنسان هنا إنما هو «آدم» عليه السلام.

ذرية آدم:

أما ذرية آدم وبقية البشر فقد كان خلقهم عن طريق التناسل والتزاوج، وقد مروا بأدوار في الخلق تختلف عن الأدوار التي مرّ بها آدم، وهي: النطفة، العلقة، المضغة، ثم مرحلة نفخ الروح:

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان (١٤ ــ ١٥).

(٢) سورة الدهر: الآية (١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾[1].

سجود الملائكة لآدم عليه السلام:

بعد أن نفخ الله تبارك وتعالى الروح في آدم، أمر الملائكة بالسجود له، وكان ذلك السجود سجود (تحية وتكريم) لا سجود (عبادة) لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر أحداً بالتوجه بالعبادة إلى سواه، ويرى بعض المفسّرين أن السجود إنما كان في حقيقته لله عز وجل ولم يكن لآدم، وإنما كان آدم (كالقبلة) بالنسبة للمصلي، فالمصلي يتوجه إلى القبلة وصلاته وسجوده لله رب العالمين، وكذلك كان الأمر بالنسبة لآدم حيث جعله الله (قبلة) للملائكة الأطهار.

ولقد كان ذلك الأمر الإلهي احتفالاً بتمام (تكوين آدم) وفي هذا إظهار لعلو شأنه، كما أن فيه تكريماً لهذا النوع البشري حيث أسجد الملائكة لأبيهم آدم عليه السلام وقد خصّ الله آدم بأربعة مزايا، هي آية الفضل وعنوان الشرف الرفيع وهي:

أولاً: خلقه الله بيده.
ثانياً: نفخ فيه من روحه.
ثالثاً: أمر الملائكة بالسجود له.
رابعاً: علّمه أسماء كل الأشياء.

قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الحج: الآية (٥).
(٢) سورة البقرة: الآية (٣١).

وجاء في الحديث الشريف ما يؤيد هذه المزايا والأوصاف الجليلة في قصة (موسى مع آدم) حين قال له:

«يا آدم أنت أبو البشر، الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنّة...» الحديث[1].

ولمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم سجدوا جميعاً امتثالاً لأمر الله إلا (إبليس) فقد امتنع عن السجود واستكبر وكان من الكافرين، وادعى أنه أفضل من آدم وأشرف منه فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ وقال قولته الخبيثة: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

هل إبليس من الملائكة:

ظاهر النصوص الكريمة يشير إلى أن (إبليس) كان من الملائكة بدليل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ وإلى هذا الرأي ذهب بعض العلماء وقالوا: إنه لو لم يكن (إبليس) من الملائكة لما كلف بالسجود لآدم، وحجتهم في ذلك «الاستثناء» المذكور في الآية الكريمة. وذهب المحققون من العلماء إلى أن (إبليس) لم يكن من الملائكة، واستدلوا ببضعة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لو كان (إبليس) من الملائكة لما عصى أمر الله، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله كما ورد في القرآن:

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في التفسير، وفي القدر، وفي التوحيد، وانظر: فتح الباري بشرح البخاري ٨/٤٣٤.

(٢) سورة صٓ: الآيتان (٧٣ ــ ٧٤).

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

ثانياً: الملائكة من نور، وإبليس من نار، وهو يقول عن نفسه بصريح عبارة القرآن: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فلو كان من الملائكة لقال خلقتني من نور وخلقته من طين. وفي الحديث الصحيح: «خُلِقت الملائكة من نور، وخُلِقَ الجانُّ من مارج من نار، وخُلِقَ آدمُ مما وصف لكم»[2].

ثالثاً: الملائكة ليس فيهم ذكر ولا أنثى، وليس لهم ذرّية ولا نسل، وإنّما هم خلقٌ بديع من خلق الله جلّ وعلا، خلقهم ابتداءً من غير أن يكون وجودهم بطريق التناكح والتناسل، والجنُّ كالإنس يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية كما قال سبحانه عن إبليس ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء. . .﴾ الآية.

رابعاً: ورد نص صريح في سورة الكهف يدل على أن (إبليس) كان من الجنّ. وأنه امتنع عن السجود لآدم لفسقه وضلاله:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ. . .﴾ الآية[3].

وكفى بهذا النصّ الواضح الصريح دليلاً وبرهاناً!!.

وتأويل بعض المفسّرين أن لفظ (الجنّ) هنا يراد به طائفة من الملائكة يسمون الجن تأويل بعيد، والذي تطمئن إليه النفس، ويرتاح له الوجدان، أن إبليس اللعين لم يكن من الملائكة وإنما كان من الجن والشياطين، وذلك لأن الملائكة لا تتناكح ولا تتناسل، والله تعالى قد أخبر عن إبليس بأنّ له ذرية فقال: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ ولو كان من الملائكة لما كان له ذرية ونسل، وقد قال (الحسن البصري) رحمه الله:

---

(١) سورة التحريم: الآية (٦).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد، برقم ٢٩٩٦، من رواية عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وانظر: جامع الأصول ٤/٣٣.

(٣) سورة الكهف: الآية (٥٠).

(لم يكن إبليس من الملائكة طرف عين، وإنما هو من الجن). وقد ذكر (ابن كثير) في كتابه «البداية والنهاية» عن بعض العلماء أنه قال: (كان إبليس من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جنداً من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أُسر فأخذته الملائكة إلى السماء فكان هناك، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه فطرده الله من رحمته)[1].

وليس هناك دليل لمن ادَّعى أنه من الملائكة، لأنه أُمر بالسجود لآدم، وبدليل الاستثناء ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس. . .﴾ فإن الاستثناء هنا منقطع، ولم يؤمر إبليس بالسجود لآدم لأنه من الملائكة، بل توجَّه له أمر خاص من رب العزة والجلال بالسجود لآدم. بقوله سبحانه ﴿قال ما منعك ألَّا تسجد إذْ أمرتُك. . .﴾ فدلَّ على أن إبليس مأمور بالسجود استقلالاً.

خلق حـــواء:

بعد أن خلق الله تعالى آدم أسكنه الجنة فكان يمشي فيها وحيداً فريداً ليس معه زوج ولا أنيس، فنام نومة ثم استيقظ فإذا عند رأسه امرأة خلقها الله له لتسكن إليها نفسه تسمّى (حواء) وسميت بهذا الاسم لأنها خلقت من حيّ، ويروى عن ابن عباس أنها خلقت من أحد أضلاع آدم وهو نائم دون أن يحس بألم، واستدل بقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. . .﴾ الآية. والله تعالى أعلم هل كان خلقها استقلالاً أم بواسطة آدم؟ وتدل ظواهر الآيات الكريمة على أن الجنة التي أسكن فيها (آدم وحواء) عليهما السلام هي جنة الخلد التي في السماء، وهذا رأي الجمهور من علماء أهل السُنَّة، وذهب المعتزلة والقدرية إلى أن الجنة ليست جنة الخلد وإنما هي جنّة في الأرض وهي (أرض عدن) وشبهتهم أنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليها إبليس، ولما وقعت فيها معصية آدم لأنها جنة القدس.

---

(١) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١/٦٧.

أدلة الجمهور على أن الجنة هي جنة الخلد:

استدل الجمهور على أن الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام هي جنة الخلد ببضعة أدلة أهمها:

(أ) أن الله سبحانه قد عرّف الجنة فقال:

﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[1].

وأل التعريف للمعهود في الذهن وهي جنة الخلد.

(ب) أمره تعالى بهبوط آدم يدل على أنها في السماء لأن الهبوط يدل على العلو والارتفاع:

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ . . . ﴾[2].

(ج) وصف الله تعالى الجنة بأوصاف تدل على أنها جنة الخلد:

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[3].

(د) ما ورد في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم فيقولون:

(يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم . . .) الحديث[4].

وباختصار فقد حكى (القرطبي) في تفسيره أن أهل السُنَّة مجمعون على أنّ جنة الخلد هي التي أُهبط منها آدم عليه السلام.

تغرير إبليس بآدم عليه السلام:

وبعد أن سكن آدم وحواء الجنة أباح الله تبارك وتعالى لهما جميع أشجارها وثمارها إلا شجرة واحدة نهاهما عنها ابتلاءً منه جلّ وعلا، ولم يذكر القرآن الكريم

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٦).

(٣) سورة طه: الآيتان (١١٨ ــ ١١٩).

(٤) انظر فتح الباري على شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦/٣٧١.

هذه الشجرة ما هي؟ أو ما اسمها؟ فلا حاجة إلى الخوض فيها بغير بيّنة ولا برهان.
قال الحافظ ابن كثير:

(وقد أبهم الله ذكر الشجرة وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعيّنها لنا)[1].

وقد حذّر الله تعالى آدم وحواء من كيد إبليس اللعين، ولكنهما نسيا ذلك وخُدعا بما أغراهما به إبليس، من الخلود في الجنة إن أكلا منها، لا سيّما بعد أن أقسم لهما إبليس الأيمان المغلّظة بأنه ناصح لهما، وأنّهما إذا أكلا من هذه الشجرة فسيخلّدان في الجنة، وقال:

﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[2].

فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما (عوراتهما) ثمّ أُهبطا إلى الأرض بسبب المخالفة وقد قال بعض المفسّرين: إن آدم أكل من الشجرة متأولاً، اعتقاداً منه أن الله تعالى نهاه عن شجرة بعينها فأكل من جنسها غير تلك الشجرة، والصحيح أنه أكل من الشجرة ناسياً الوعيد الإلهي ويدل عليه قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[3].

انظر جامع الأحكام للقرطبي ١١/٢٥١.

* * *

(١) انظر: كتاب البداية والنهاية لابن كثير ١/٦٩.
(٢) سورة الأعراف: الآيتان (٢٠ ــ ٢١).
(٣) سورة طه: الآية (١١٥)، وانظر: جامع الأحكام للقرطبي ١١/٢٥١.

قصة «قابيل وهابيل» ابْنَيْ آدم عليه السلام

ـ ٨ ـ

ذكر المؤرخون وأهل العلم أن آدم عليه السلام رزق من حواء أولاداً كثيرين وأنها وضعت له عشرين بطناً في كل بطن (ذكر وأنثى) فكان آدم يزوج كل ذكر من بطن بالأنثى من البطن الأخرى، ولا يزوج الذكر بالأنثى من بطن واحدة، فأراد (هابيل) أن يتزوج بأخت (قابيل) وكانت أخت قابيل أحسن فأراد (قابيل) أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إيّاها فأبى وقال: أنا أحق بأختي، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً فمن تقبّل قربانه أخذ تلك الأخت، فقرّب (هابيل) جذعة سمينة ـ وكان صاحب غنم ـ فقدّم أجود ما عنده، وقدّم (قابيل) حزمة من زرع رديء ـ وكان صاحب زرع ـ فقدّم أسوأ ما عنده، فنزلت نار فأكلت قربان (هابيل) وتركت قربان (قابيل) فغضب عند ذلك قابيل وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال له (هابيل): إنما يتقبل الله من المتقين. . وكانت نهاية القصة أن أقدم قابيل على قتل هابيل فقتله فأصبح من الخاسرين، قال تعالى:

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

---

(١) الآيات من سورة المائدة (٢٧ ـ ٢٩) وانظر تاريخ الطبري ١/١٦٢؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١/٨٦.

وجاء في الحديث الشريف: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها لأنه أول من سنّ القتل»[1].

الحكمة من استخلاف آدم في الأرض:

ولاستخلاف آدم في الأرض حكمة جليلة أشارت إليها الآيات الكريمة في قصة خلق آدم عليه السلام.. هذه الحكمة ترمز إلى علم الله الواسع، وإرادته الأزلية الحكيمة، في عمارة الأرض بذرية آدم وبنيه، فلو لم يخلق الله تعالى هذه المخلوقات لما عمرت الأرض، ولما كانت هناك شعوب وأمم، وخلائق وأجيال، وهذا ما غاب عن علم الملائكة الأطهار، ولم يُدركوا حكمته الدقيقة حتى كشف الله تعالى لهم الأمر وأطلعهم على الأسرار في استخلاف هذا المخلوق الجديد، ذي الشأن العجيب، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء:

(ولا يخفى أن استخلاف آدم في الأرض، يشتمل على معنى سامٍ من الحكمة الإلهية، التي خفيت عن الملائكة.. فإن الله تعالى لو استخلف الملائكة في الأرض، لما عرفت أسرار هذا الكون، وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغزيرة، فإن الملائكة ليسوا بحاجة إلى شيء مما في الأرض، إذ هم على وصف يخالف وصف الإنسان، فما كانت السفن لتصنع، ولا الأرض لتزرع، ولا تعرف

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ٦/٣٦٤ من فتح الباري؛ ومسلم في القسامة ٣/١٣٠٤؛ وأحمد في المسند ١/٣٨٣.

(٢) سورة البقرة: الآية (٣٠).

خـواص الأشيـاء والمـركبـات الكيمـاويـة، ولا الفـوائـد الـطبيعيـة ولا الفلكيـة ولا المستحدثات الطبيّة، ولا الطبائـع النفسية، ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التي تفنى السنـون ولا يدرك الإنسـان لعلمٍ منها نهـايـة. . فسبحـانـه وتعـالى من عـزيـز حكيم[1].

هل آدم من الأنبياء؟:

من المقطوع به أنّ «آدم» عليـه السلام من الأنبيـاء، وهو رأي جمهـور العلماء لم يخالف فيه أحد، وإنما الخـلاف هل هو رسول أم لا؟ ولمن أرسل؟.

أمـا الأدلة على نبـوته فقـد وردت في الكتـاب والسنّـة. . ولكنهـا في القـرآن الكريم لم تكن صريحةً، فلم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بـإزاء غيره من الأنبياء الكرام كإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلَّ له وحرّم عليه، بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة كما أسلفنا.

وأمّا رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، فيرى بعض العلماء أنه رسول وأنه أرسـل إلى ذريته، ويرى الآخرون أنه لم يكن رسولاً وإنما كان نبياً، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيـح مسلم: «إنَّ الناس يـذهبون إلى نـوح ويقولـون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض»، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول، والقائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بـأنه أول رسـولٍ بعد الـطوفان، والله أعلم بحقيقـة الأمر، والـرأيُ الأرجـح الذي عليه الجمهور أنه من الأنبياء، أما الأدلة على نبوته فهي:

أولاً: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وظاهر من الآية أن المراد الاصطفاء بالنبوة والرسالة.

---

(١) انظر: كتاب قصص الأنبياء للنجار ص ٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٣٣).

ثانياً: قوله تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ففي هذه الآية وعد من الله تعالى بالهدى، وإشعار بالرسالة.

ثالثاً: قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2].

والظاهر أن اجتباء الله له وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إياه بالنبوة والرسالة. وقد ورد في السنَّة النبوية ما يدل على نبوته صراحة وذلك في حديثين:

الأول: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[3].

الثاني: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: «قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت يا رسول الله ونبيّ كان؟ قال: نعم نبي مكلّم، قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً» رواه أحمد[4].

لهذه الأدلة نرى علماء المسلمين متفقين على نبوته لم يخالف في ذلك أحد، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٨).
(٢) سورة طه: الآية (١٢٢).
(٣) الحديث أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٦١٨ وقال: حديث حسن.
(٤) انظر: مسند الإمام أحمد ١٧٨/٥.

شبهة حول نبوّة آدم:

وقد يقال: إذا كان آدم من الأنبياء فكيف عصى أمر الله، والأنبياء معصومون عن المعصية؟ والجواب أنّ هذا البحث قد تقدّم معنا مفصلاً في باب (عصمة الأنبياء) ونحن نوجزه الآن في كلمات:

أولاً: إن ذلك حصل نسياناً منه، لا قصداً وعمداً بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1].

وهذا ما اختاره القرطبي.

ثانياً: إن آدم عليه السلام قد تأول في أكله من الشجرة، لأنه ظنّ أن المراد من قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ عين تلك الشجرة فأكل من شجرة أخرى من جنسها فوقع في المخالفة.

ثالثاً: إن أكله من الشجرة كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية، فلم يكن نبياً حين أكل منها بدليل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2].

ما الفرق بين الملائكة والجن؟:

يعرف علماء التوحيد الملائكة بما يلي:

الملائكة: أجسام نورانية لطيفة، قادرة على التمثل والتشكل بأية صورة أرادوا، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، وأنهم مجبولون على العبادة والطاعة:

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة طه: الآية (١١٥).
(٢) سورة طه: الآية (١٢٢).
(٣) سورة التحريم: الآية (٦).

وأنهم لا يتناسلون ولا يتناكحون ولهم قدرة خارقة، ولا تحكم عليهم الصورة.

وأما الجن: فهم أجسام نارية سفلية، مخلوقون من مارج من نار (أي من أخلاط نار صافية) وأنهم قادرون على التشكل بأية صورة أرادوا، وأنهم يتناسلون ولهم ذريَّة، وفيهم الذكر والأنثى، وهم مكلفون كالبشر، وفيهم المؤمن والكافر، وأنّ الصورة تحكم عليهم.

ومن هذا التعريف يتضح لنا بجلاء أن بين خلق الملائكة وبين خلق الجنّ تفاوتاً واضحاً، وتبايناً ظاهراً في أصل الجبلّة والخلقة.

فالملائكة مخلوقون من نور، والجنّ مخلوقون من نار، يدل لذلك قول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم»[1]. وقوله تعالى:

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[2].

والملائكة ليس لهم نسل ولا ذرية، بخلاف الجن فإنه يتناسلون ويتناكحون ولهم ذرية، كما قال تعالى عن إبليس:

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[3].

فالملائكة يخلقهم الله تعالى خلقاً جديداً مبتدءاً لأنه ليس فيهم ذكر أو أنثى حتى يحصل التناسل، أمّا الجن ففيهم الذكر والأنثى ويقع بينهم التناكح والتناسل كما هو الحال بين البشر.

والملائكة قادرون على (التمثل) بأمثال الأشياء، و (التشكل) بالأشكال

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد برقم ٢٩٩٦، وقد تقدم الحديث.

(٢) سورة الحجر: الآية (٢٧).

(٣) سورة الكهف: الآية (٥٠).

الجسمانية المحسوسة، فقد ثبت ذلك في النصوص العديدة من الكتاب والسنَّة، قال تعالى عن جبريل عليه السلام:

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(١).

وقال تعالى عن ضيوف إبراهيم من الملائكة الأبرار:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾(٢).

فقد دخلوا عليه في صورة رجال، وحين قدّم لهم الطعام امتنعوا عن الأكل، فأوجس منهم خيفة فأخبروه أنهم ليسوا بشراً، إنما هم ملائكة أرسلهم الله لإهلاك المكذبين من قوم لوط.

وحين قدم الملائكة على نبي الله (لوط) عليه السلام جاءوه على صورة شباب مُردٍ حِسان، ممّا جعل السفهاء يطمعون بفعل الفاحشة بهم، حيث جاءوا يتسابقون إلى لوط عليه السلام، كما قال تعالى:

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾(٣).

فالملائكة إذاً قادرون على التصور والتشكل بأي صورةٍ شاءوا، وقد ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فسأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعن

---

(١) سورة مريم: الآية (١٧).
(٢) سورة الذاريات: الآيتان (٢٤ ــ ٢٥).
(٣) سورة هود: الآية (٧٨).

الساعة فأجابه الرسول عنها بالتفصيل، وأخيراً سأل الرسول أصحابه: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

والجن أيضاً قادرون على التمثل والتشكل بأي صورة شاءوا، فقد اجتمعوا برسول الله ﷺ في صورة نفر من الرجال، وسمعوا القرآن، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ . . .﴾[2] الآية.

فهم يشبهون الملائكة من هذه الناحية، وهي قدرة (التمثل والتشكل) بأي صورة شاءوا. . ولكنهم يختلفون عن الملائكة في أنهم تحكم عليهم الصورة بينما الملائكة لا تحكم عليهم الصورة، بمعنى أن الجنيّ لو تصور وتشكّل في صورة إنسان أو طير، وصوّب إنسان سهماً نحوه فإن الجنيّ يموت كما لو قتله إنسان بسيف أو رمح، فيجري عليه حكم الصورة، بخلاف الملك فإنه لو تصوّر بصورة ما فإن هذه الصورة لا تحكم عليه، فلا يقتل الملك إذا ما سدّد إنسان سهماً نحوه أو جُني عليه بجناية، فلا يناله شيء من الأذى فيما لو تشكل بصورة إنسان أو غيره. ثمّ إنَّ الملائكة يختلفون عن الجن في أنهم لا يأكلون ولا يشربون، وليس فيهم نزوع إلى البشر، وليس عندهم استعداد للمعصية، بل خلقوا على الاستقامة، وجبلوا على العبادة والطاعة كما قال تعالى:

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[3].

وكما قال تعالى:

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) سورة الأحقاف: الآية (٢٩).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٢٠).
(٤) سورة التحريم: الآية (٦).

وأما الجن ففيهم المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، فهم كالبشر في هذه الناحية كما قال تعالى عن إبليس ﴿كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه﴾ وقال تعالى مخبراً عنهم في سورة الجن:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1].

وهم مكلفون كسائر البشر بالتكاليف الشرعية قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ولهم رسل وأنبياء يبلغونهم أوامر الله ونواهيه كما قال تعالى:

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ . . .﴾[3].

فقوله تعالى: ﴿منكم﴾ يدل على أنّ هناك رسلاً من الإنس، ورسلاً من الجن، وأمّا رسالة محمد ﷺ فهي لجميع الخلق إنسهم وجنّهم كما قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[4].

والجن مخلوقون قبل الإنس يدل لذلك قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[5].

---

(١) سورة الجن: الآيتان (١٤ ــ ١٥).
(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٦).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١٣٠).
(٤) سورة الفرقان: الآية (١).
(٥) سورة الحجر: الآيتان (٢٦ ــ ٢٧).

الحمأ: الطين الأسود المتغير. والمسنون: المصوّر. والسموم: الريح الحارة القاتلة. والجن يرون البشر بينما البشر لا يرونهم يدل لذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ثمّ إن (الملائكة) يختلفون عن الجنّ في أنّ لهم قدرة عجيبة خارقة، فهم يستطيعون أن يقتلعوا الجبال، ويغوصوا البحار، ويقلبوا الأرض بأهلها، كما فعل الملائكة بقوم لوط ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ وكما اقتلع جبريل عليه السلام جبل الطور ورفعه فوق بني إسرائيل كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ . . .﴾ الآية[2].

وللملائكة أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة أو أكثر كما قال تعالى:

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وفي الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ رأى جبريل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

الفرق بين الشياطين والجن:

والشياطين فرقة من الجن، وهم المردة العصاة، ورئيسهم إبليس اللعين عليه لعنة الله، فكل متمرد من الجن يسمّى (شيطاناً). . كما أنّ كل عاصٍ من الإنس

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٧).
(٢) سورة الأعراف: الآية (١٧١).
(٣) سورة فاطر: الآية (١).

يسمى (فاسقاً) وكل جاحد يسمّى (كافراً) فكل شيطان جني، وليس كل جني شيطاناً، قال تعالى: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾. والله الموفق.

العبرة من قصة آدم عليه السلام:

ونستخلص من قصة آدم أبي البشر بعض العظات والعِبر وأهمها ما يلي:

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى قد كرّم هذا النوع البشري حين خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعله خليفة في الأرض وهذا تكريم لآدم وذريته.

ثانياً: إن الله تعالى قادر على كل شيء فقد يجعل من الأمر الحقير أمراً هاماً وعظيماً فقد خلق آدم من تراب ثم جعله بشراً سوياً، وأفاض عليه من أسرار قدرته وبدائع حكمته ما جعله أهلاً للاستخلاف في الأرض، كما علّمه أسماء كل الأشياء مما عجزت عنه الملائكة الأطهار.

ثالثاً: إنَّ على الإنسان أن يحذر مكائد الشيطان فقد كان السبب في خروج أبينا آدم من الجنة، وعداوته قديمة لنا منذ ظهور آدم:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1].

فلا ينبغي أن ننخدع بوساوس إبليس اللعين فهو حرب علينا إلى يوم الدين.

رابعاً: إن الإنسان مجبول على الخطأ معرّض للنسيان، لأنه خلق من ضعف وما وقعت مخالفة آدم لأمر الله إلا بسبب ذلك الضعف البشري حيث استجاب لنداء اللعين إبليس ونسي أمر الله.

خامساً: على الإنسان ألاَّ يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من عفوه فيما إذا وقع في خطيئة وحصلت منه سقطة، أو ألمّ بذنب، فقد علّمنا الله كيف نتوب إليه،

---

(١) سورة فاطر: الآية (٦).

وكيف نتخلص من الذنوب والآثام ﴿فتلقّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فَتَابَ عليهِ إنَّه هو التَّوّابُ الرَّحيم﴾.

سادساً: الحياة قائمة على الابتلاء والامتحان، فكما ابتلي آدم بالنهي عن الأكل من الشجرة، لتظهر طاعته وخضوعه، كذلك ابتليت ذريته بالأوامر والنواهي، لتتحقَّق العبودية لله رب العالمين.

وفاة آدم عليه السلام:

وفاة آدم عليه السلام: وقد عاش آدم على ما ورد في بعض الآثار قرابة (١٠٠٠) ألف عام، وذكر الطبري في تاريخه أنه عمَّر تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة، ثم مات بعد ذلك ودفن على المشهور في الهند عند الجبل الذي أهبط فيه، وقيل: بجبل (أبي قبيس) بمكة المكرمة، ولما حضرته الوفاة جاءته الملائكة من السماء بكفنٍ وحنوط من الجنّة وبعد أن غسلوه وكفنوه حفروا له وألحدوه، وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثم حثوا التراب وقالوا: يا بني آدم هذه سنتكم[1].

رحم الله أبانا آدم وأسكنه فسيح جنته، وجمعنا معه في دار الخلد آمين، والحمد الله رب العالمين.

• • •

(١) انظر: تاريخ الطبري ١/١٥٨؛ والبداية والنهاية لابن كثير ١/٩١.